آلية التهميش ودورها في تفعيل حركيّة التلقي في الخطاب النّقدي العربي المعاصر، مشروع مُحَّد أركون الإسلاميات التطبيقية

The mechanism of marginalization and its role in activating the dynamics of reception in contemporary Arab critical discourse "Mohammad Arkoun's Applied Islamism Project"

وهاب حميدة

[1]المركز الجامعي مرسلي عبدالله تيبازة(الجزائر)، wahab.hamida@cu-tipaza.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/30 تاريخ القبول: 2025/11/14تاريخ النشر: 2025/12/15

ملخص: يهدف هذا البحث إلى دراسة التهميش" التعليقات والشروحات"،هو مصطلح متداول في الخطابات وشتّى المجالات بمفاهيم مختلفة، فهو آلية من الآليات الّتي تحقّق فعل التّواصل والتلّقي بين المؤلف والقارئ ومن جهة ثانية التّأصيل للمفاهيم من مصطلحات، أسماء أعلام، عناوين كتب من خلال المقاربة التاريخية والابستيمولوجية، فالهوامش تشكّل مرجعيّة نصيّة وفكرية وإبداعية فهي صناعة جاهزة، لأنّها آلية توظف لتقويّة المعاني والمفاهيم لدى القراء، لذلك نستعمله في هذا البحث كمفهوم يقصد به ما يسجل أسفل الصفحات في أي كتاب أو بحث ؛ أي الحواشي التي تقدم شروحات وتفسيرات وتعليقات قد تغيب عن المؤلف أو الباحث أو المترجم في المتن، ومن المشاريع النّقدية الحداثية التي تشتغل على آلية التهميش بين خطاب المؤلف وخطاب المترجم، مشروع مُحَّد أركون _الإسلاميات التطبيقية_ وهي قراءة نقديّة معاصرة للتراث العربيّ القديم، وهذا من خلال الاعتماد على استراتيجية تتبنى توظيف جهاز مصطلحي يتداخل مع العلوم الإنسانية، ونحاول في هذا البحث الإجابة على مجموعة من الأسئلة، كيف نفهم اليوم مشروع مُحَّد أركون، وكيف يؤصل للمفاهيم من خلال التهميش" الإحالات والشروحات"؟

كلمات مفتاحية:القارئ؛ آلية التهميش؛ التأصيل؛ التلقي؛ المصطلح؛ الإسلاميات التطبيقية

This research aims at studying the Marginalization (Comments and Explanations), is a term with different meanings that is used in discourses in various fields. On one hand, It's a mechanism that realizes the act of communication between the author and the reader. On the other hand, it is a rooting for terms such as prope5r nouns and book titles through a historical and epistemological approach.

Footnotes are a textual, intellectual and creative reference. It is a ready-made technique that is used in strengthen the meanings and explaining concepts for readers. Therefore, we use it in our research to refer to what is written on the bottom of the pages in a book or a research. These footnotes provide explanation and comments the author, researcher or translator of the text missed that maybe.

Mohammed Arkon's project of Applied Islamism, which is a contemporary critical reading of ancient Arabic heritage, is among the modern critical projects that work on the marginalization mechanism between the author's discourse and the translator's discourse. Arkon relays on a strategy that adopts the use of terminological system that overlaps with ‹the Human science.

In this paper, we aim to answer some issues as: how can we understand the Arkon project today? How does he roots for concepts through marginalization, references and explanations?

Keywords: Reader; marginalization; rooting; reception; term**; AppliedIslamism**.

المؤلف المرسل: وهاب حميدة، **الإيميل**: wahab.hamida@cu-tipaza.dz

1. مقدمة:

لقد شهد الخطاب النّقدي العربيّ الجديد- الحديث والمعاصر- تحوّلات في الممارسة النّقدية التنظيرية والتطبيقية ممّا أدى إلى ظهور عدّة خطابات وتيارات فكريّة ونقديّة ذات توجه معيّن، ومن بين هذه الخطابات والقراءات الجديدة مشروع المفكر والباحث مُحَمَّد أركون وهو ما يعرف بالإسلاميات التطبيقية، هي قراءة نقديّة معاصرة للتراث العربيّ القديم بكل معارفه وتوجهاته، والذي يدعو من خلال قراءته إلى خلق نوع جديد من التلّقي النّقديّ من منظور يعتمد على بعد فلسفي، ديني، لغوي، منهجي، مصطلحي معين، ممّا يسمح بمعالجة قضايا فكرية ونقديّة من خلال الاعتماد على استراتيجية قرائية نقدية تقوم على أساس تفكيك الخطابات "القراءات" السابقة، وبهذا يجد المتلقي نفسه أمام معركة من الأفكار والطروحات، والرؤى، والمصطلحات والمفاهيم، لذلك نجد مُحَمَّد أركون يوظف جهاز مصطلحي مهم يتداخل مع مجموعة من العلوم والحقول المعرفيّة _العلوم الإنسانية والاجتماعية_ في كتبه التي ألفها وترجمها هاشم صالح، لذا نحاول الإجابة على مجموعة من الأسئلة بالاعتماد على البحث في فعل التلقي وعلامات القارئ من خلال تقنية أو آلية التهميش؛ الذي يقصد به كل ما يخرج عن نص أو خطاب المؤلف في المتن من شروحات وتعليقات واحالات، والتّي يتم تدوينها في أسفل صفحات الكتب، والإشكالية المحوريّة الّتي تشتغل عليها هذه الدراسة هي، ما مدى فاعلية وأهمية آلية التهميش في تّفعيل حركيّة التلقي بين المؤلف والقراء في الخطاب النقدي العربي المعاصر؟ ونفكك هذه الإشكالية إلى مجموعة من الأسئلة، ونبدأ بسؤال جوهري: من هو مُحَمَّد أركون ومن هو قارئ مُحَمَّد أركون؟ أو من هو القارئ الذي يقصده مُحَمَّد أركون في مشروعه وكيف يمكن لهذا القارئ أن يتواصل مع فكره ومع استراتيجيته القرائية؟ وكيف يتحدّد فعل التلقي وماهي علاماته؟ ولأن هذا المشروع الذي يعدّ برنامج نقدي شامل يدرس شروط صلاحية كلّ المعارف التي أنتجها العقل الإسلامي من خلال العودة إلى المشروع حيث توقف في العصر الكلاسيكي؛ أي زمن " التوحيدي، مسكويه، الجاحظ..." وتحقق الأنسنة وتعدد وجهات النظر، فما هو الدور الذي تقدمه الهوامش للقراء وهل يتحقق فعل التواصل بين المؤلف والقارئ؟.

والهدف من هذه الدراسة هو البحث عن إجابات لهذه التساؤلات من خلال الاعتماد على دور التهميش في كتبه النّقدية –مُحَمَّد أركون–بين لغته ولغة مترجمه، إذًا الهوامش تمثل وتشكل مرجعيّة نصيّة وفكرية وإبداعية، فهي صناعة جاهزة لأنها تشتغل على المفاهيم التي توظف في أي متن، لإضافة ما غاب عن المؤلف ولتذليل الصعوبات عند القارئ، من صعوبة في تلقي المصطلحات والمفاهيم ضمن المتون، لذلك يُعد التهميش ركيزة معرفيّة للتواصل وتحقيق فعل التّلقي من خلال الربط بين مفاهيم النصوص؛ أي نص المؤلف ونصه الشارح، كأنّه بذلك يعقد ميثاقاً وشروطاً لفن القراءة لدى القراء من أجل تفعيل حركيّة الفهم والإدراك لدى قارئٍ ما، هذا الوضع القرائي يشكّل تفاعلاً بين شخصين وفكرين مختلفين بفضل آلية التهميش "من إحالات، تعليقات، حواشي، شروحات"، لذلك يعمد الكثير من المؤلفين بالأخص النقاد والمفكرين في حقل الدراسات النّقدية إلى الاستعانة بالتهميش في آخر المتون وصفحات الكتب، بهذا الشكل يحقق الكتاب بفضل القراءة وآلية التهميش البعد التداولي بين مقصديّة المؤلف ومقصديّة القارئ؛ أي المخاطب في مشروع الإسلاميات التطبيقية لمحمد أركون، فالفعل القرائي من منظور مُحَمَّد أركون هو انفتاح، تقاطع، حدود، تطبيع؛ أي انتزاع حضور الذات القارئة، و في هذه الدراسة نعتمد على منهجية تشتغل عليها معظم الأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية، من خلال توظيف الوصف والتحليل في مقاربتنا النّقدية لموضوع التهميش في الخطاب النّقدي العربيّ المعاصر، ومن جهة ثانيةالاستعانة بمفاهيم ميشال فوكو "الحفريات "للحفر في أهمية التهميش وما يحققه من تفاعل بين القارئ والمؤلف أو المترجم.

2.تحديد المفاهيم "المصطلح، اللغة"

1.2 تعريف المصطلح:

فالمصطلح إذن هو " الحد" أو الخط المعين للحدود؛ فهو يمثل حقلا يمكن العمل في نطاق حدوده ضمانا لعدم التشتت والضياع، ولكن المصطلحات شأنها شأن الحدود الوضعية، حتى تلك التي فُحصت فحصا دقيقا، تؤول إلى طبيعة اجتماعية واعتباطية بصفة أساسية؛ فهي ليست لذلك ليست حدود طبيعية أو حتمية كما نفترض أو نتوهم".(اسماعيلعزالدين،1993،ص113)

مما لاشك فيه أن المصطلحات هي بوابات مفتاحية للولوج إلى عالم المفاهيم من خلال الحدود التي تفرضها المصطلحات على نسقها، لتفكيك الخطابات وفهمها من أجل تفعيل حركية القراءة وتحقّق فعل التواصل لذلك يقول عز الدين اسماعيل: "ومن المهم أن نتذكر أن المصطلحات تؤدي وظيفتها بالطريقة نفسها فهي تحدد ممارستها للقراءة وتنظيمها (...)والمصطلح هو نظام يصنعه الإنسان للإنسان، ككل الأنظمة الاجتماعية فإنه لذلك _مهما بلغت درجة التواطؤ أو الاتفاق بين مستخدميه_ قابل لأن يثير الجدل حوله".(اسماعيل عزالدين،1993،ص113)

2.2 اللغة:

تجدر الإشارة بادئ ذي بدء إلى أنّ هناك علاقة بين اللغة؛ أي لغة في العالم، وبين المفاهيم والمصطلحات "فاللّغة هي الوسيط الأنطولوجي الذي يعطي الفهم طابعه الملموس، وهي على حدّ قول الفيلسوف الإيطالي جيانيفانيمو:"ذلك الثالث الذي لا يمكن رفعه بين الأنا والعالم، أو بين الذات والغير، أو بين الفكر والواقع" .(بزاق نسيمة،2018_2019، ص70)

لذلك فإنّ "مسألة اللغة والمصطلح هي المسألة الأولى في الخطاب العلمي، فالضرورة الأولى لنشوء العلم تتمثل قبل كل شيء في احداث نسق من المفاهيم تستجيب لحقل مقاييس العلوميّة**lascientificité**، وجان دسنتي**J.T Desanti**، يقرُّ بذلك".(بزاق نسيمة 2018_2019، ص71)

إذا أخذنا بهذا الرأي يمكن القول إنّ العلاقة بين المفهوم والمصطلح وثيقة متلازمة، فكلّ واحد منها متعلق بوجود الآخر"فالمصطلحات رموز لغوية تمثل المفاهيم، ونظرا إلى أن هذه أسبق في الوجود من تلك وجب أن تصاغ المصطلحات بعد ميلاد المفاهيم، والحق أن تسمية المفهوم يمكن أن تعتبر خطوة أولى، مسير توطيد وجوده، كينونته مقيدة وقابلة للاستعمال من الناحية الاجتماعية"(بزاقنسيمة، 2018_2019، ص71)

3.علامات القارئ في مشروع مُحَّد أركون

إن قراءة مشروع مُحَّد أركون تعني قراءة مفاهيم العلوم الإنسانية والاجتماعية أولاً، ومعرفة أسلوبه في طرح أفكاره ووجهة نظره، بالإضافة إلى معرفة اللغة التي يشتغل بها وما ينتظره من القراء، فالهوامش بوصفها خطابا تواصليا وعملية تلفظيّة بين المؤلف والقارئ يفرض على القراء معرفة قواعد القراءة ليتمكنوا من

التعامل مع ما يُدَوّن أسفل المتون "الهوامش" على أنه نصاً منفتحًا يمكن الولوج إلى معانيه، و اعتباره منجزا استراتيجيا لتحقيق شروط التلقي، بحسب طبيعة القراء لتحقيق حركية الفهم من خلال الانفتاح أو التقاطع أو التطبيع بين مرجعية المؤلف ومرجعية القراء، وبهذا يحقق التهميش توليدا للمعنى ويشكل وعيا للقارئ؛ يعني هذا أنه لا يمكن الفصل بين متن النص ومتن الهامش الذي يعتبر آلية استراتيجية لتحقيق شروط التلقي والقراءة والفهم من خلال مؤشرات ما، لذلك يشترط مُحَمَّد أركون على قراء فكره ومشروعه شروط لا بد من توفرها لدى قارئ مشروعه، ومن العلامات التي ينبغي توفرها في قارئ مُحَمَّد أركون والتي يشير إليها في كتابه "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة هاشم صالح" نذكر:

– بداية نشير إلى ما يتّصف به مُحَمَّد أركون وهو اطلاعه على الفكر الغربيّ النّقدي واللساني والمعرفي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية والتحكم في مفاهيمه ومصطلحاته، وكذلك هو متابع لتياراته ومذاهبه، حيث تزخر نصوصه بالهوامش التي تحيل إلى الكتب والأجهزة المفاهيمية والمصطلحية للعلوم الإنسانية والاجتماعية وأصولها المعرفية المختلفة،كذلك يقدم شرحا لمصطلحاته وسياق تاريخها بمعنى أنه يؤصل للمفاهيم لمساعدة قرائه في فهم مشروعه النقدي.

– وكذلك يُعرف باستراتيجية خاصة في صياغة الأسئلة الجذرية والعميقة للمتلقي، ويدعو كذلك إلى تحرير العقل والفكر من خلال طرح مشكلة المقدس بشكل تاريخي وأنثوبولوجي ومقارن، بهدف تحقيق العلاقة بين الحقيقة والوحي واللغة والتاريخ، ومناهضة الوثوقية والكلية فيما كتبه العرب، فهو يريد العودة بنا إلى المشروع حيث توقف في العصر الكلاسيكي أي؛ التعددية والأنسنة في زمن الجاحظ، التوحيدي، مسكويه(...)ورفض الدوغمائية في التلقي والقراءة وهو ما يذكره في شروط القراءة لفكره من علامات لا بد من توفرها في القراء وهي كالآتي:

يقول مُحَمَّد أركون: "إنه قد شرح في مقدمة الكتاب للطبعة الأولى في كتابه "قراءات في القرآن"، وأنه أضاف في الطبعة الثانية نقطتين هامتين" طبعا ما أضافه مُحَمَّد أركون هو بمثابة علامات تحيل على قارئ مقصود لفكره ومشروعه، فأول ما يطلبه وبعبارة مباشرة لقرائه هو ما يشير له بعبارة "وسيجد القارئ في هذا الكتاب ثلاثة فصول مختارة من ذلك الكتاب".(أركونمحمد، 2001م، ص5)

أماالنقطتان الجوهريتانااللتان تحدث عنهما ودعا القارئ "القراء" للتزود بهما من أجل فهم فكره ومشروعه، الإسلاميات التطبيقية هما:

أولا: "ما يجب على القارئ أن يتزوّد به من تكوين علمي والإحاطة بالأرضية المفهومية الخاصة باللسانيات والسميائيات الحديثة مع ما يصاحبها من أُطر التفكير والنقد الابستمولوجي".(أركونمحمد 2001م، ص5)

ثانيا: "أن يتدرب القارئ على التمييز بين الاحتجاج، والإدراك، والتأويل، والتفسير الذي يتم في الإطار المعرفي العقائدي الدوغمائي، وبين التحليل والتفكيك للخطاب الديني، فهذان شيئان مختلفان، فتحليل الخطاب الديني أو تفكيكه يتم لا لتقديم معانيه"الصحيحة"وإبطال التفاسير الموروثة، بل لإبراز الصفات اللسانية اللغوية وآلات العرض والاستقلال والاقناع والتبليغ والمقاصد المعنوية الخاصّة بما أسميته الخطاب النبوي".(أركون مُحَمَّد، 2001م، ص5)

لذلك نجده في مؤلفاته سواء باللغة الفرنسية أو المؤلفات التي ترجمها هاشم صالح إلى اللغة العربية، والتي اطلع عليها مُحَمَّد أركون يوظف الإحالات والتعليقات "الشروحات" بطريقتين، ففي العرض الأول يقوم بترقيم الهوامش وينسبها للغة المؤلف، والثانية يضع علامة نجمة للدلالة على لغة المؤلف المترجم.

هذه الإحالات والهوامش هي بمثابة شروحات وتعليقات لمفاهيم نقديّة؛ أي مصطلحات ومفاهيم العلوم الإنسانية فنجده يعود بنا للاستعمال الأول لها عبر التّأصيل التاريخي وما تعنيه وأول من استعملها، وكذلك يذكر عناوين الكتب التي أخذ منها وأسماء الأعلام وكل ما له علاقة بالآداب والمعرفة في علاقتها بالعلوم الإنسانية، ونحن نقرأ لأركون في متن الكتب المترجمة نستعين بالهوامش، فكل كتاب نطلع عليه نجد أنفسنا تعرفنا على مئات المصطلحات والمفاهيم؛ أي ما يعادل موسوعة قرائية معرفية ولو جمعنا متون الهوامش لأصبح لدينا كتب تعادل ما يكتب في المتون، وهو ما يحقق فعل القراءة وحركيته لدى قارئ مُحَمَّد أركون.

مما لا شك فيه أن مُحَمَّد أركون كان يعلم بوجود صعوبة في قراءة كتبه لدى القراء، ففي نظره طبيعة التعليم في الدول العربية لا تعتمد في تدريسها للتلاميذ في مرحلة الثانوية كل ما له علاقة بالعلم الأنثربولوجي؛ أي علم النفس وعلم الاجتماع، هذا العلم الذي يكون المعرفة ويساعد في تقوية الفكر لدى التلاميذ، لذلك

يشير مُحَمَّد أركون لهذا الجانب في قوله: "ولذا فإن معظم الطلبة الذين قرأوا كُتبي يشكون من صعوبة فهم الجهاز المفاهيمي أو المصطلحي الذي أستخدمه، وأواصل تجديده وإثراءهُ من النصوص والمؤلفات والتجارب الفكرية الإسلامية في الواقعإن تلك الصعوبة لا تعود إلى اتباعي لأسلوب معقد، أو إلى كثرة المصطلحات غريبة المعنى والنادرة الاستخدام، وإنما تعود إلى انعدام الأرضية المفهومية والمعرفة الخاصة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية في اللغة العربية"(أركون مُحَمَّد،2001م، ص8.9)

بالإضافة لمفاهيم العلوم الإنسانية يلجأ مُحَمَّد أركون "في أكثر من رسالة إلى استخدام شبكة من المصطلحات اللسانية والسيميائية التقنية والمعقدة والتجريدية ليس جريا وراء (الموضة الباريسية) في استخدام المنجزات اللسانية والدلالية في تحليل كتب الأديان، بل من أجل (إنجاز مهمة فكرية خصوصية) متحررة من ثقل المعاني اللاهوتية في فهم الأدوار والوظائف التي يقوم بها أطراف الخطاب القرآني".(بكايمحمد،2017،ص59)

وبالإضافة إلى ذلك يؤكد مُحَمَّد أركون على دور وأهمية الترجمة في نقل المعرفة الاصطلاحية والمفاهيميةبقوله: "وكنت حريصا دائما أن أجد مترجماً متمكّناً من اللغتين العربيّة والفرنسية، متدرّباً بمعاجم العلوم الإنسانية والاجتماعية، لينقل إلى القراء العرب نقلاً وافياًعلمياً ما ألّفتُهُ بالفرنسية من كتب هي أهم (...). وزاد حرصي شدة على ذلك بتعدّد اتصالاتي بالجماهير العربية والمسلمين عن طريق إلقاء المحاضرات في جميع أنحاء العالم"(أركون مُحَمَّد، 1996م، ص07)

واعترافاًمنه بأهمية ما قدمه هاشم صالح من ترجمة لمشروعهالإسلاميات التطبيقية، بهدف إيصال فكره التنويريللقراء العرب يؤكد على دوره المهم بقوله: "لم يتسع لي الوقت مع الأسف لأقوم بعملين مهمين مجهدين في وقت واحد وهما: متابعة التيارات العلميّة المختلفة في العلوم الإنسانية والاجتماعية بالاطلاع على جميع ما يصدر من كتب باللغات الغربية، ثم إيجاد المصطلحات اللازمة لنقل أجهزة المفهومات المتجددة والمتحولة من كل لغة من اللغات الأصلية (الإنكليزية والفرنسية والألمانية) خاصة إلى العربية".(أركون مُحَمَّد، 1996م، ص 07)

ومن أجل إيصال أفكار ومفاهيم الجهاز المصطلحي لمحمد أركون للقارئ العربي، لجأ هاشم صالح إلى بذل مجهود كبير من أجل تذليل الصعوبات المتعلقة بالمفاهيم والمصطلحات، من خلال الاعتماد على استراتيجية تتبنى إجراءات معرفيّة ومحوّرية في تقديم وشرح المفاهيم والمصطلحات (لقد قام الدكتور هاشم صالح باجتهادٍ مثمر في هذا الميدان وساهم مساهمة جدية في إثراء اللغة العربية والفكر الإسلامي بتلك الأجهزة من المفهومات والاصطلاحات التي أشرت إليها كأجهزة لازمة لمن يريد التعرّف النقدي على الفكر الإسلامي لا في مراحله التاريخية السابقة فحسب، بل أيضا في الممارسات المعاصرة المتعددة بتعدّد الحركات الاجتماعية والسياسية التي تقدم نفسها في معاجم وتصورات إسلامية ".(أركون مُحَمَّد 1996م، ص09)

وهذا دليل على أن مُحَمَّد أركون حريص على توزيع المهام توزيعا دقيقا بينه وبين مترجم أعماله إلى اللغة العربيّة، من أجل تفعيل حركية القراءة وتحقّق فعل التلقي لدّى القراء العرب.

لذلك نجد نصر حامد أبو زيد يؤكد على أهمية القراءة فيقول: "لكن إشكاليات القراءة لا تقف عند حدود اكتشاف الدلالات في سياقها التاريخي الثقافي الفكري، بل تتعدى ذلك إلى محاولة الوصول إلى (المغزى) المعاصر للنص التراثي، في أي مجال معرفي. ولا أظن أن الوصول إلى (المغزى) أمر اختياري، فالقراءة –من حيث هي فعل–تتحقق في "الحاضر" بكل ما تعنيه الكلمة من وجود ثقافي تاريخي أيديولوجي ومن أفق معرفي وخبرة محددين"(حامدأبوزيدناصر،2014،ص6)

هذا يعني أن القراءة هي فعل يشترط وجود الخبرة وأفق معرفي سابق لمباشرة القراءة من أجل تحققها في زمن الحاضر لأي نص، نقدي أو أدبي أو علمي من أجل الفهم والادراك فنجده يضيف لذلك قوله:" إن أي قراءة لا تبدأ من فراغ، بل هي قراءة تبدأ من طرح أسئلة تبحث لها عن إجابات. وسواء كانت هذه الأسئلة التي تتضمنها عملية القراءة صريحة أو مضمرة، فالمحصلة في الحالتين واحدة وهي أن طبيعة الأسئلة تحدد للقراءة آلياتها. ويكون الفارق بين السؤال المعلن والسؤال المضمر أن آليات القراءة في الحالة الأولى تكون آليات واعية بذاتها وقادرة على استنبات أسئلة جديدة تقوم بدورها بإعادة صياغة آليات القراءة، وبذلك تكون القراءة منتجة". (حامدأبوزيدناصر،2014،ص6)

ما أشار إليه نصر حامد أبو زيد هو أن القراءة نشاط ذهني يبدأ بطرح الأسئلة ليجد إجابات وفق آليات القراءة، وفي كل لحظة قراءة يتفاعل القارئ مع النص المقروء فيطرح أسئلة جديدة ومن نوع آخر، فهناك القراءة البصرية والقراءة الفاحصة التي تتمعن فيما يكتبه صاحب النص أو الكتاب، لتحقق القراءة الغاية والهدف المخطط له مسبقا.

"أما آليات القراءة في حالة السؤال المضمر فتكون آليات مضمرة بدورها، تتظاهر غالبا بمظهر "الموضوعية" لإخفاء طابعها الأيديولوجي النفعي".(حامدأبوزيد،ناصر،2014،ص6)

مما لا شك فيه أن التجربة الذاتية للقراءة هي أساس تكوّن المعرفة وهي ليست شيء معطى جاهز، فالقراءة مستشفى العقول المنتجة.

4. نماذج مختارة من هوامش مؤلفات مُحَمَّد أركون المترجمة "لهاشم صالح"

من النماذج التي اخترناها لتقديمها في هذه الورقة البحثية ما كتبه مُحَمَّد أركون في كتابه "الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، ترجمة وتعليق هاشم صالح"، اختيارنا لهذا الكتاب من بين الكتب التي ألفها مُحَمَّد أركون لسبب أنه يزخر بكم هائل من الهوامش ومن جهة أخرى تنوعها من خلال ذكر أسماء شخصيات من باحثين ونقاد معروفين وغير معروفين لدى القراء العرب، بالإضافة إلى تقديم شروحات لمفاهيم ومصطلحات مختلفة الحقول المعرفية.

4_1المصطلحاتوالمفاهيم

يقول مُحَمَّد أركون: "وحدهم الفلاسفة لا يزالون مستمرين في النضال من أجل الحفاظ على أولوية التفكير النقدي المتمركز على نظام العقول المفترّض وجودها، صراحة أوضمنا في كل تركيبة معرفية (أو خطاب معرفي). وأما العلوم الاجتماعية فنلاحظ أنها تنتج عقلانيات مبعثرة(*) وميّالة للاستقلال الذاتي".(أركونمحمد،1999،ص17)

مما لا شك فيه أن القارئ لهذه العبارة لا يجد صعوبة في فهمها وهذا ما يتكشّف ظاهريا على مستوى القراءة والفهم في مرحلته الأولى، لكن إذا تمعن القارئ في عبارة عقلانيات مبعثرة يلفت انتباهه لذلك العلامة التي يضعها المؤلف نقصد(*)،فإنه يشعر بفضول بداخله يطالبه بقراءة ما أشير إليه في الهامش ليفهم ما يريد المؤلف من هذه العبارة، وبمجرد الامعان في الهوامش نجد شرحا لتلك العبارة وما يقصد بها المؤلف، وهنا تحدث حركيّة التلقي للقارئ الفضولي ويبدأ في تسجيل معارف جديدة ويتماهى مع شروط وقوانين الفعل القرائي الإنتاجي.

أما بخصوص الشرح الذي يقدمه المؤلف للعبارة التي وظفها يقول: "بمعنى أن كل علم من العلوم الاجتماعية يستخدم عقلانية خاصة به بعد أن يبلورها لخدمة مصالحه أو لحل مشاكله. فعلم الاجتماع ينتج عقلانيته، وعلم النفس ينتج عقلانيته، وعلم التاريخ كذلك، وعلم الألسنيات الحديثة(...)وكلمة عقلانية هنا تعني المنهجية في الواقع. وبما أن كل اختصاص معزول عن الاختصاصات الأخرى، فإنه لا يوجد توحيد للعقل،

وإنما تبعثر وتشتت. وهذا ما يعيبه أركون على العلوم الاجتماعية أو الإنسانية الحديثة".(أركونمحمد،1999،ص17)

طبعا بعد قراءة ما المقصود بعبارة عقلانيات مبعثرة لدى القارئ ما قاله بور ريكو عن التأويل المضاعف، أي درجة الفهم والإدراك تتضاعف لدى القارئ بصورة ما، هنا يمكن القول إن الهوامش تتحرك وتفعل فعل القراءة في أعلى مستوياته، لكن القراء الذين يقرأون ما يوجد في المتون ويمرون على الهوامش مرور الكرام فلا يتمكنون من تحقيق أهداف القراءة وعلى رأسها فكرة الإنتاجية واكتساب معارف جديدة لتصبح مرجعية يمكن العودة إليها في مشاريع قراءات أخرى.

وفي الصفحة نفسها يضيف لما سبق ذكره قوله:" وهذا ما يؤدي إلى إضعاف المناقشات الابستمولوجية ويترك المجال مفتوحا على مصراعيه لما كان جاك دريدا قد دعاه بالعقل التلفزي-التكنولوجي-العلمي(*): أي تركيبة خليطة من العقول التي تفرض نفسها حتى في الخطاب الشائع بصفتها العقل الوحيد الصحيح (أو الشغّال والموثوق). وأما بيير بورديو فقد راح من جهته ينتقد مادعاه "بالعقل السكولاستيكي"**." (أركونمحمد،1999،ص17)

هنا كذلك عند قراءة مصطلح العقل التلفزي-التكنولوجي-أول ما يتبادر في أذهاننا نحن القراء، هو تشبيه عقل الإنسان بآلة مبرمجة لا يمكن التحاور معها واقناعها من طرف عقل آخر، وعندما يشير إليه المترجم في الهامش نكتشف مفهوم مغاير لما فهمناه من قراءتنا بحكم أننا أول مرة ربما نسمع بهذا المصطلح، إذًا المقصود به عند جاك دريدا هو "هذا المصطلح اشتقه جاك دريدا مؤخرا لمهاجمة العقل المهيمن والسائد في الغرب. وهو عقل شغّال في الإعلام التلفزيوني والبيئات الصناعية التكنولوجية. ويحتقر كل ماله علاقة بالروح أو الفلسفة ناهيك عن الشعر. فهذه الأشياء وهمية لا معنى لها في نظره لأنه ليس لها أي مردودية اقتصادية"(أركونمحمد،1999،ص17)

وعطفا لما أشرنا إليه سابقا لما فهمناه من هذا المصطلح دون الاستعانة بالهوامش هو عكس ما يقصده صاحب المصطلح، فبمجرد قراءة ما دون في الهامش من شرح وتعليق نكتسب معلومة جديدة حول

مصطلح العقل التلفزي ومن هو صاحبه، وفي أي مجال وظفه لنقوم مباشرة بتخزين هذه المعلومة وعند مصادفته مرة أخرى نفهم مباشرة الغاية من توظيفه لدى أي باحث في حقل معرفي ما.

وكذلك مصطلح العقل السكولاستيكي هو مصطلح معرب، أنا شخصيا كقارئة أول مرة أسمع بهذا المصطلح كان من خلال قراءة كتاب مُحَّد أركون، ولأنّي لم أفهم المقصود منه فقد لجأت إلى ما دون في الهامش لأفهمه وأعرف من صاحبه وكيف يوظف في العلوم الإنسانية، لربما نوظفه نحن كذلك في بحوثنا، والمقصود به ما أشير إليه في الهامش" العقل السكولاستيكي هو العقل المدرساني السائد في الأوساط التعليمية والجامعية الفرنسية، والذي يردد نفس المقولات ويحفّظها للطلاب عن ظهر قلب. وبورديو يدعو لانتهاكه والخروج عليه" (أركونمحمد،1999،ص17)

من المصطلحات التي قد تبدو سهلة الفهم ولا إشكال فيها ما يستعمله مُحَّد أركون" فمهمة الباحث تكمن في أَشْكَلَة ّ(*) كل الأنظمة الفكرية التي تنتج المعنى، وكل الصيغ التي اختفت أو لا تزال حيّة والتي تنتج بدون تمييز المعنى وآثار المعنى. هنا يكمن التفريق الأساسي بين الباحث التقليدي والباحث الحديث. " هنا استعمال مصطلح أشكلة في منظور القارئ أمر عادي ولا يحتاج إلى استنطاق أو تحليله لفهمه، لكن بمجرد القاء نظرة على ما دون من شرح وتعليق في الهامش تتغير زاوية النظر لدى القراء، فمفهوم مصطلح الأشكلة (**problématisaton**) يعني نزع البداهة عن التراث ووضعه على محك التساؤل والنقد من جديد. وهذه العملية النقدية ينبغي أن تُطبّق على جميع الأنظمة الفكرية التي تعاقبت على البشرية. فكل نظام عقائدي أو فكري ينتج المعنى الذي يعيش عليه الناس لفترة تطول أو تقصر. ولكنه ينتج أيضا آثار المعنى: أي الآثار السلبية والإيديولوجية المرافقة حتما لكل معنى" (أركونمحمد،1999،ص22)

ومن المصطلحات التي توظف في علم الاجتماع قوله: "لقد استخدمنا مصطلح الأملاك الرمزية عن قصد "(أركونمحمد،1999،ص22) هذا المصطلح يعني "مصطلح الأملاك الرمزية (أو الثورات الرمزية) مصطلح حديث في علم الاجتماع ولعل مبلوره أن يكون بيير بورديو على أثر ماكس فيبر. ففي العالم يوجد نوعان من الثروة: الثورة المادية، الثورة الرمزية. والمقصود بالأملاك الرمزية القيم الدينية والروحية. فهذه يسيطر عليها رجال الدين وأحيانا يستغلونها لأغراض شخصية فيحولونها إلى أملاك مادية. ومن الأملاك الرمزية أيضا

الشهرة، أو اسم العائلة إذا كانت كبيرة وذات جاه، أو الشهادات الجامعية، (...) " .(أركونمحمد،1999،ص270)

للإشارة مؤلفات مُحَمَّد أركون وعلى رأسها الكتاب الذي أخذنا منه هذه النماذج، يزخر بكم هائل من المصطلحات والمفاهيم التي يوظفها مُحَمَّد أركون في جهازه المصطلحي، لذا من يقرأ هذه الهوامش سوف تذلل لديه صعوبة الفهم والمقصود من تلك المفاهيم ولماذا هي بالذات تم توظيفها دون غيرها من المفاهيم، لذلك يشترط أركون على قرائه التزود بمفاهيم العلوم الإنسانية ليتحقق فعل القراءة والتلقي بين المؤلف والقراء.

4_2 الأعلام

ومن الأسماء المذكورة نذكر "كما شرحها عالم الألسنيات إميل بنفينيست ()، ومفهوم ظرف الخطاب الذي تحدث عنه أو بلوره ب.زمبتور أثناء دراسته للأدب القروسطي تحت اسم الظاهرة الشفهية المقلّدة حرفيا للظاهرة الكتابية... " (أركون مُحَمَّد،1999،ص270)

نشير هنا إلى أن القارئ إذا كان درس في الجامعة في تخصص من تخصصات الآداب لا بد له من معرفة عالم الألسنيات إميل بنفنيست، مع غياب بعض المعلومات الخاصة به ولكن اسم ب.زمبتور حسب اعتقادي ستكون أول مرة نتعرف فيها نحن القراء على هذه الشخصية، لذلك يقدم لهم المؤلف تعريفا وكتابة اسميهما باللغة العربية والفرنسية معا. "إميل بنفينيست: عالم ألسنيات فرنسي كبير. ولد في مدينة حلب بسوريا عام 1902م ومات في باريس عام1967م.جمع مقالاته النظرية الأساسية في كتاب بعنوان: مسائل في علم الألسنيات العامة. – **Emile Benveniste:problèmes de "linguistique générale,Paris,1966**. (أركونمحمد،1999،ص111)

أما بخصوص شخص بول زمتور:"باحث فرنسي معاصر مختص بتطبيق علم الألسنيات على دراسة الخطاب الأدبي بشكل عام. من أهم كتبه: مقالة في الأسلوبياتالقروسطية، 1972. – **Paul Zumthor:Essai de poétique médiéval,Seuil,1972**. "

(أركونمحمد،1999،ص111)هذه الشخصية التي تحدث عنها مُحَمَّد أركون، أنا كقارئة لكتابه أول مرة أتعرف عليه وهذه هي فائدة قراءة الهوامش.

وكذلك يذكر "وذلك داخل سياق العقل الفلسفي والتاريخي. وقد طرحوا عندئذ هذا السؤال: هل يمكن أن توجد فلسفة مسيحية؟ وتعارك على هذا الموضوع كلّ من إميل بريهييه وإيتان جيلسون*. (أركونمحمد،1999،ص111)

يقدم المؤلف في الهامش تعريفا لهما بقوله:" إميل بريهييه(1876-1952). (**Emile Bréhier**) هو أحد كبار مؤرخي الفلسفة في فرنسا في النصف الأول من هذا القرن. كان علمانياً وضعياً بحتاً. وأما إيتان جيلسون(1884-1978) (**Etienne Gilson**) فكان مؤمنا مسيحيا واحد كبار المختصين بفلسفة القرون الوسطى".(أركونمحمد،1999،ص111)

بعد قراءة الهوامش والاطلاع على التعريفات التي يقدم المترجم هاشم صالح لهذه الشخصيات، نضيفها إلى قائمة الأسماء التي نعرفها لا ربما نعود إليها في دراسة ما مستقبلاً.

كانت هذه الهوامش التي اخترناه لتقديمها كأمثلة تخص لغة المترجم هاشم صالح، والتي يعتمد في ترقيمها على وضع علامة(*) والهوامش الخاصة ب "مُحَّد أركون" تمّ وضعها في نهاية كل فصل وترقيمها بالأعداد وللإشارة فقط لم تكن مكثفة مقارنة بهوامش المترجم.

5 . نماذج مختارة من هوامش المؤلف مُحَّد أركون المترجمة

يقول في متن الكتاب" وأما الدراسات الأنتربولوجيةوالسوسيولوجية فهي تعاني من صعوبات التوصل إلى الأرضية العلمية: أقصد أرضية المجتمعات المدروسة وذلك لأن الأنظمة السياسية القائمة تعارض ذلك. ولكن فهرسة المراجع الخاصة بهذا الشأن، والتي نشرت مؤخرا، تبرهن على أن المنشورات الأنتربولوجيةوالسوسيولوجية كانت غزيرة.(أركونمحمد،1999،ص111)

ويضيف كذلك قوله: "فهي تدّشن مقاربة منهجية وموقفاً ابستمولوجيا جديدا. وهما ضروريان من أجل أن نزحزح ونتجاوز "(أركون،مُحَّد،1999،ص279)

وقوله كذلك:" وإنما أريد أن أقول فقط بأن المجابهة لا تزال مستمرة حتى يومنا هذا بين العقل الديني/والعقل الفلسفي(*). أقصد العقل الديني المرتبط ارتباطا وثيقا بالمخيال الديني الخصوصي كما كان قد أكدا نفسيهما فيما أدعوه بالخطاب النبوي".(أركونمحمد،1999،ص308)

طبعا قراءة هذه العبارات ليس بالأمر الصعب، لكن مايهما هو ما الفائدة من العودة لهوامش المؤلف في آخر الفصل، ولماذا اختار أن تكون هذه الهوامش لها علاقة مباشرة بشخصه رغم أن معظم هوامش الكتاب تعود للغة المترجم؛ أي من خلال ترجمته لكتاب مُحَمَّد أركون عن اللغة الفرنسية.

وبالعودة إلى هوامش الفصل الأخير والذي أخذنا منه هذه الأمثلة نجده يهمش لها ب:

"1-أنظر: رود ستريجيب: الأنتربولوجيا الثقافية للشرق الأوسط، الجزء الأول(1965-1987)، الجزء الثاني:1988-1992، أبريل،1997.

2-لكي يطّلع القارئ على المزيد من التفاصيل حول أهمية هذين المصطلحين وكيفية اشتغالهما فإننا نحيله إلى الدراسة التالية: مُحَمَّد أركون: "الانتهاك، الزحزحة، التجاوز". بحث منشور في مجلة آرابيكا، عدد خاص بعنوان: أعمال كلود كاهين، قراءة نقدية،1996/1.

3-لكي يفهم القارئ الأهمية العملياتية لهذا المفهوم فإني أحيله إلى الموسوعة القرآنية، مادة قرآن. وأما من أجل الاطلاع على المزيد من التفاصيل حول هذه اللمحة التاريخية المختصرة فإني أحيله إلى كتابي عن الإنسيّة العربية في القرن الرابع هجري/ العاشر الميلادي، الطبعة الثانية، منشورات فران، باريس،1982".(أركونمحمد،1999،ص352)

بعد قراءة المبررات التي يقدمها المؤلف مُحَمَّد أركون في هوامش البحث الخاصة بالفصل الأخير، يتكشّف لنا مدى حرصه على القارئ لأنه يعلم مسبقا أنه لا يمكن الاطلاع وقراءة مشروعه دون أن يكون هناك شرح وتعليق لمفاهيم ومصطلحات غامضة بعض الشيء، وبالإضافة إلى أن هذه الهوامش هي دعوة صريحة من المؤلف لقراءة مشروعة وفهم مقصديته كما يريدها وينتظرها من القراء، والحقيقة أن هذه الشروحات والتعليقات تزيد من حركية القراءة والتلقي لأنها فعلا صناعة جاهزة تنتظر قارئ مجد وموسوعي لاكتساب معارف جديدة، لذلك ما يدعو إليه مُحَمَّد أركون من التزود بأرضية مفاهيمية للعلوم الإنسانية هي شرطٌ لقراءة مشروعه.

6 خاتمة

وانطلاقا ممّا سبقنستنتج أنّ: البحث في موضوع" التهميش" في مشروع مُحَّد أركون الإسلاميات التطبيقيةبين لنا أنّ الاعتماد عليه كآلية استراتيجية في القراءةله دور وأهمية كبيرة في تفعيل حركيّة التلقي والفعل القرائي لدى القراء؛حيث يستعين به القراء لأنه يزيد من مستويات النشاط الفكري عند مباشرة القراءة عبر مراحل محددة، ومن أهم النتائج التي يمكن تلمّسها من هذا البحث نذكر:

6_ 1 النتائج

▪إنّآلية التهميش من أهم المنهجيات الفكرية والنقديّة والمعرفيّة التي وظفها مُحَّد أركون في مشروعه الإسلاميات التطبيقية.

▪للتهميش دور أساسي في تفعيل خاصيّة وماهيّة المفاهيم والمصطلحات وضبطها، وله عدّة دواعيمنها : اللغويّة، التاريخيّة، المعرفيّة، الاصطلاحية، المنهجية، التأصيلية .

▪التهميش يسمح بزيادة الوعي لدى القراء بما يقرؤون من أجل تذليل الصعوبات التي يتميز بها كلّ خطاب في حقل معرفي ما و له علاقة بزيادة الفهم والإدراك لدى القارئ.

▪إنّ الاعتماد على آلية التهميش لها دور محوري في اكتساب معارف جديدة من خلال التعرف على أسماء شخصيات غير معروفة وعناوين كتب يمكن العودة إليها في أي بحث، وكذلك فهم المصطلحات والمفاهيم المنقولة إلى اللّغة العربيّة.

▪إنّ الهوامش توضع في الأساس لمساعدة القراء والتواصل بين المؤلف أو المترجم والقارئ، حول منظوره لما يكتب ومن أجل قراءة مشروعه وفهمه.

▪بين المتون والهوامش منعطفات لا بد من التوقف لقراءتها، وبناءً على كل تلك الهوامش سيخرج القارئ عن النسق المألوف؛ أي المرور عليها دون قراءتها، لكسر حاجز الفهم والاستيعاب عن طريق الولوج إلى عالمها والاطلاع عليها بقراءة فاحصة.

▪تتموضع أهمية الهوامش في قدرتها على ارغام القارئ بالتوقف عند حدودها وقراءتها، ليخرج بنتيجة إما الاستفادة أو عدم الاستفادة .

▪إنّ الهوامش تنتج إبداعاً لأنّها صناعة جاهزة إذا أُحسن استثمار المعطيات الّتي يشتغل عليها أي كتاب.

وأخيرا نقول: دراستنا هذه جعلتنا نستفيد نحن أولا من الهوامش، لذا ندعو القراء إلى التركيز عليها عند المباشرة في قراءة أي مؤلف، لربما تكون الهوامش أكثر وأقوى تأثيرا على القارئ من المتون، والرجوع إليها كلما قرأنا مؤلفا أو بحثا لتخزين المعلومات ولتحقيق فكرة القارئ عبر التاريخ، كما نقترح على قارئ هذه الدراسة البحث في موضوع التهميش وتوسيعه من خلال توظيف عملية الإحصاء والحديث عن وظائف التهميش التي لم نتمكن من إضافتها للبحث.

7. قائمة المراجع:

أركونمحمد، (2001م)،الكريم من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان.

أركون مُحَمَّد (1999م)،الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، تر هاشم صالح، دار الساقي، ط1، بيروت، لبنان.

أركون مُحَمَّد، (1999م)، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تر هاشم صالح، مركز الانماء القومي، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، لبنان.

اسماعيل عز الدين،(يونيو1993م)،جدلية المصطلح الأدبي، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، م2، ج8،المملكة العربية السعودية.

بزاق نسيمة، (2019.2018 م)،النزعة المفهومية في خطاب طه عبد الرحمان ومُحَمَّد عابد الجابري، مقاربة في المفهمة، اشراف عبد الغاني بارة، قسم اللغة العربية،كلية الآداب واللغات، جامعة مُحَمَّد لمين دباغين سطيف02، الجزائر.

بكايمحمد،(2017)،أرخبيلات ما بعد الحداثة رهانات الذات الإنسانية،من سطوة الانغلاق إلى إقرار الانعتاق، دار الرافدين، ط1، بيروت، لبنان.

حامد أبو زيد ناصر، (2014م)إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط1،الدار البيضاء، المغرب.